التعريف بعلمائهم والمنظرين في جماعتهم

[١] **محمد إلياس**: وقد تَقَدَّمَ التعريفُ به.

[٢] **محمد يوسف**: هُوَ ابْنُ الْمُؤَسِّس، وصاحب كتاب «حياة الصَّحابة»[١]، تولَّىٰ إمارة جماعة التَّبْليغ بَعْدَ مَوْتِ والده.

[٣] **مُحَمَّد زَكريَا الكاندهلويُّ**: وهو ابْنُ أخي الْمُؤَسِّس، والرَّجُلُ الثَّاني، والْمُنَظِّر الأَوَّلُ لجَمَاعَةِ التَّبليغ، ويَصِفُونَهُ بأَنَّهُ رَيْحَانَةُ الهِنْد، وبَرَكَةُ العَصْرِ، والْمُحَدِّثُ الكَبيرُ شيخُ الحديث، وشيخُ المشايخ، والْمُشْرِفُ الأَعْلىٰ لجماعةِ التَّبْليغ، وأَعْلَمُ النَّاسِ عِنْدَهُم، وهو

---

(١) «حياة الصحابة» هو كتاب مَليءٌ بالخُرافات والأحاديث الضَّعيفة، ولا يجوزُ وضْعُهُ بينَ يدي العوامِّ، الَّذينَ لا يُميِّزُونَ بين الصحيح والضَّعيف، والموضوع، وما إلىٰ ذلك.

صاحبُ كتاب « تبليغي نصاب »[١] .

[٤] **صوفي إقبال** : وهو مِنْ أَخَصِّ أصحابِ الشَّيْخ محمَّد زكريا .

[٥] **المفتي عزيز الرحمن** : وهو من شُيُوخِهم .

[٦] **أبو الحسن النَّدويُّ** : وهو مِنْ أعلامِهم .

(١) كتاب « تبليغي نصاب » يُعْتَبَرُ جُزْءًا أساسيًا مِنْ منهج الجماعة، وهو مليءٌ بالخُرافات، والرِّوايات الضَّعيفة والمَوْضوعة، ويتضمَّنُ – أيضًا – الشِّركَ، وبَعْدَ أنْ انفضحَ هذا الكتابُ، غيَّروا اسْمَهُ إلىٰ « فضائل الأعمال » .

عقيدتهم

١ - الدعوة إلى العقيدة الديوبندية:

قال الشيخُ محمَّد إلياس: «قَدْ قَامَ الشَّيْخُ التهانويُّ بعَملٍ جَبَّارٍ، كم أَتَمَنَّىٰ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الأُسلوبَ الَّذي تَبَنَّيته لِنَشْرِ تَعَاليمِه؛ حَتَّىٰ تَعُمَّ وَتَنْتَشِرَ»(١).

ومِنَ المعْلوم أنَّ الشَّيخ التهانويَّ كَانَ ديوبنديًّا بَحْتًا(٢).

فأَكْبَرُ أماني الشيخ محمَّد إلياس نَشْرُ تعاليمِ التهانويِّ، وبثُّها في العالم.

وقَالَ الشَّيْخُ محمَّد زكريَّا: «وعلىٰ أيَّة حَالٍ فَإِنَّنَا - كجماعةٍ - نَرَىٰ ضَرُورةَ التَّقْليد في هَذَا العَصرِ، كَمَا نَرَىٰ التَّصَوُّفَ الشَّرْعِيَّ أَقْرَبَ الطُّرُقِ للتَّقَرُّبِ إِلىٰ اللهِ - تَعَالىٰ -،

---

(١) «ملفوظات محمد إلياس» (ص٥٠) نقلاً عن «جماعة التَّبليغ» (ص٥٤).

(٢) راجع كتاب «الديوبنديَّة» لسيد طالب الرحمن، تجدْ عقائد الديوبنديَّة مُفصَّلةً تفصيلاً، لا تجده في موضعٍ آخرَ.

فالَّذي يُخَالِفُنا في هَذَيْنِ الأَمْرَيْن (التَّقْليد والتَّصَوُّف)، فهو بَرِيءٌ مِنْ جَمَاعَتنا، وكِلا الأَمْرَيْن ذُو أَهَمِيَّةٍ بالغةٍ في الْمَذْهَبِ الديوبنديِّ، فالَّذي يرىٰ أَنَّهُ لا فَرْقَ بَيْنَ جَمَاعَةِ مَوْدُوديّ والجَمَاعَةِ الدّيوبَنْدِيَّة في المذهبِ فَهُوَ مُكَابِرٌ»(١).

ولشَغَفُ الشَّيخ محمَّد زَكَريَّا بالمذهب الدِّيوبنديِّ يَقُولُ: «أَنَا مُشْتَاقٌ إِلىٰ تَرَاجِمِ مَشَايخِ الدّيوبَنْدِيَّة»(٢).

٢ - الإفتراءُ على الله:

قال الشيخ محمَّد زكريَّا: «مَالَ الشَّاهُ وَلِيُّ اللهِ الدِّهْلَويُّ في زَمَنٍ إِلىٰ تَرْكِ التَّقْليد الْمَذْهَبِيّ، فَتَوَجَّهَ إِلىٰ حَضْرَةِ رَبِّ العِزَّة، فَنُودِيَ (أَوْ أُخْبِرَ بطَرِيقَةٍ مَا) يا وَلِيَّ اللهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ تَأْيِيدَنا مَقْصُورٌ عَلَىٰ المذْهَبِ الحَنَفِيِّ؟! فَنَحْمَدُ اللهَ، ونَشْكُرُهُ، حَيْثُ أخبرت بأنَّ جَمَاعَةَ التَّبليغِ تَتَمَتَّعُ بتَأْييدنا»(٣).

---

(١) «ثلاثونَ مجْلِسًا» (ص١٣٥) نقلاً عن المرجع السابق (ص٥٠ - ٥١).

(٢) «الولي الكامل» (ص٣٥٤) نقلاً عن المرجع السابق (ص٥١).

(٣) «بداية حركة التبليغ» (ص٥٤)، نقلاً عن المرجع السابق (ص٦٤).

٣ - الافتراء على رسول الله :

قَالَ الشَّيْخُ محمَّد إلياس : «إنَّهُ كَانَ لِزَامًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ، وَيُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ بُيُوتِهِم في سَبِيلِ التَّبْلِيغِ»(١).

وقَالَ مُحمَّد يُوسُف : «لَمَّا أَرَادَ رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَشْرَعَ في الدَّعْوَةِ إلىٰ اللهِ في الدُّوَلِ المجاورة، رَغَّبَ النَّاسَ في الْخُروجِ لِثَلاثَةِ أيَّامٍ، ثُمَّ قالَ لَهُم : «اخرجوا إلىَ الدُّوَلِ، واعْمَلُوا علىٰ ضَوْءِ ما عَمِلْتُم هَاهُنا»(٢).

وقَالَ الشَّيْخُ محمَّد زَكَرِيَّا : «وفي نَظَرِي أَنَّ العِنَايَةَ الرَّبَّانِيَةَ قَدْ تَوَجَّهَتْ إلىٰ هَذِهِ الحَرَكَةِ، وقَدْ نَقَلَتْ مُبَشِّرات النَّبيّ الكريم - ﷺ - بالنِّسْبَةِ إلىٰ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ نَقْلاً مُتَوَاتِرًا ورُئِيَ في المنامِ تَرغيبُ النَّبيّ -ﷺ- وتَأْكِيدُهُ لِلنَّاسِ الاشْتِرَاكَ مَعَ هَذِهِ الجماعَةِ بِكَثْرَةٍ».

ويقول بَعْدَ ذلك - : «وتَأييدُ النَّبيّ -ﷺ- في المنامِ

---

(١) «مكتوبات محمد إلياس» (ص٨٥) نقلاً عن المرجع السابق (ص٦٦).

(٢) «مرقع يوسفي» (ص٨٠)، عن المرجع السابق (ص٦٦).

بهذه الكثرة التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَىٰ وعلاوة علىٰ ذلك من الأُمُورِ الكَثِيرَةِ»(١).

وقالَ أيضًا: «فبناءً علىٰ ذلك؛ أرَىٰ المخالفةَ لَها أَمْرًا خَطِيرًا»(٢).

٤ - الدَّعوة إلى عقيدة وحدة الوجود:(٣)

---

(١) «الاجوبة عن الإشكالات في كتب الفضائل» (ص٦٦)، عن المرجع السابق (ص٦٥).

(٢) «جشمة آفتاب» (ص١٣) عن المرجع السابق (ص٦٥).

(٣) وحدة الوجود اصطلاحٌ في الفكْر الصُّوفيِّ، يعني: أنَّهُ لَيْسَ هُناك مَوْجودٌ إلاَّ الله، فليس غيره في الكون، وليس هناك شيء آخر مَعَهُ. قال محمّد زكريا - كما في «أمّ الأمراض» (ص٧) نقلاً عن «جماعة التبليغ» (ص٨٣) -: «لِيُعْلَمْ أنَّ السِّرَّ في تجاوزِ العَبْدِ عَنْ حدِّه: هُوَ أنَّ اللهَ خَلَقَهُ علىٰ صورته، ومن المعلوم أنَّ اللهَ يُوصَفُ بصفاته الجلاليّة، مثل: الكبرياء، والحياة، والعزَّة، والعَظَمَة، والمجد، والجلال فسرت هذه الأوصاف في صورته». فهذه هي عقيدة وحدة الوجود، الّتي يدعو إليها مُحَمَّد زكريّا، وتشتملُ علىٰ الشِّرْك في الذَّات، وتُعارض قولَ الله - سبحانهُ وتعالىٰ -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]. وقال محمّد زكريا في موضع آخَرَ: «إنَّ الله - سبحانه وتعالىٰ - هُوَ منبعُ الجمال كُلُّه حقيقةً، ولا جمالَ في الدُّنيا حقيقةً إلاَّ جمالُهُ». «تبليغي نصاب» (ص٢٠٠)، نقلاً عن «جماعة التَّبليغ» (ص٨٣)، وهذا شبيهٌ بقول سَلَفِه ابن عربيٍّ - كما في كتابه «الفتوحات المكيَّة» (١/ ٣٥٤) -: =

قال الشَّيخ محمَّد زكريَّا: «إنَّ عَقيدةَ وحْدَةِ الوُجُودِ بدايةُ التَّصوُّف»(١).

ثُمَّ يَقولُ: «أمَّا الآنَ فَقَدْ أَصْبَحَ الزَّمانُ مُلائمًا وصَالحًا للدَّعْوَةِ إلىٰ التَصوُّف بكُلِّ قوَّةٍ، والعَمَلِ به»(٢).

انْظُرْ - يا بُنَيَّ - كَيْفَ بَلَغتْ بهمُ الجراءَاتُ في الدَّعْوَةِ إلىٰ التَّصوُّف وبكُلِّ قُوَّةٍ، وكذلكَ الدّعْوَة إلىٰ عقيدةِ وحدةِ الوُجُود؟!.

قالَ الشَّيْخُ مُحَمَّد زكَريَّا في منصورِ الحلاّج المَصْلُوبِ بسبَبِ زَنْدَقَتِه، وقَوْلِه: أنا الحَقُّ (أي أنا اللهُ): «إنَّما صُلِبَ المَنْصورُ لتَرْكِه التَّأَدُّبَ مَعَ الله، فَقَدْ كَانَ قولُهُ: أنَا الحَقُّ صِدْقًا وحَقًّا، ولكن ما كَانَ يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَتَجَاهَرْ به»(٣).

فانظرْ - يا بُنيَّ - كيفَ يُقرُّ محمَّد زكريَّا قولَ الحلاج

= «فما في الوجود إلاَّ اللهُ، ولا يعرفُ اللهَ إلاَّ اللهُ، ومِنْ هذه الحقيقة قال مَنْ قال: أنا الله، وسبحاني. كأبي يَزيد البسطامي».

(١) «ذكر واعتكاف» (ص٩٥)، عن «جماعة التبليغ» (ص٨٥)

(٢) «ذكر واعتكاف» (ص٩٩)، عن المرجع السابق (ص٨٥)

(٣) «ولي كامل» (ص٢٤٩) عن المرجع السابق (ص٨٩)

بزَعْمه أنَّ قولَ الحلاج: أنا الحقُّ صدْقٌ وحقٌ، ثُمَّ يَلْتَمسُ له العُذْرَ بقَوْله: «ولَكِنْ مَا كَانَ يَنْبَغي لَهُ أَنْ يتجاهَرَ به» أي: مَا كَانَ ينْبَغي له أنْ يتَجاهَرَ به في عَصْرِ العُلَمَاءِ الأعلامِ الَّذينَ أَفْتوا بحلِّ دَمه، ولا الحُكَّامِ العظَامِ الَّذين نَفَّذُوا فيه حُكْمَ الشَّرْعِ، أمَّا الآنَ فَقَدْ أَصْبَحَ الجَوُّ - بزَعْمه - مُلائمًا وصالحًا للدَّعْوَةِ إلىٰ التَّصَوُّفِ بكُلِّ قُوَّةٍ.

خَلا لكِ الجَوُّ فَبيضي واصفري

ونَقِّري ما شئْتِ أنْ تنقري

ولَكِنْ هيهاتَ هَيْهَاتَ، فَمَا مِنْ رَجُلٍ خَالَفَ الكتابَ والسُّنَّةَ إلاَّ وَهُنَاكَ مَنْ يَجْري مَعَهُ في الميدان، كَأَنَّهما فَرَسَا رِهانٍ، تلك سُنَّةُ اللهِ في الأَعْصارِ والأَمْصارِ، ولَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تبديلاً.

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ العَقيقُ وَمَنْ بِهِ

وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بالعَقيقِ نُواصِلُهْ

٥ - زعمهم رؤية الله في الدنيا:

قالَ الشَّيْخُ مُحَمَّد زَكريَّا: «قَدْ ظَهَرَ الجبَّارُ علىٰ هذا العاشقِ مِنْ أَسْتارِ الغيبوبة، فَلا يُكَلِّمُ إلاَّ الرَّبَّ، ولا يَتَكَلَّمُ بحرفٍ إلاَّ مِنَ الله، ولا يَتَحَرَّكُ إلاَّ بأَمْرٍ منه، ولا يَسْكُنُ إلاَّ بأمرٍ مِنْه بذلك، يتَعَلَّق بالله - تعالىٰ - ، لله - تعالىٰ - مَعَ الله - تعالىٰ - »(١).

والجوابُ عَلَيْه: أنَّ الصُّوفيَّةَ العَصْريَّةَ لا تَخْتَلفُ عَنْ الصُّوفيَّة القديمة، ولاسيّما في عقيدَة وحدة الوجود؛ فَكَلامُ مُحَمَّد زكريّا هُوَ نَظيرُ كلامِ سَلَفِه صاحبِ الإحياء.

قالَ صاحبُ الإحياء أبو حامد الغزاليُّ: «العارفونَ - بَعْدَ العروج إلىٰ سَمَاءِ الحقيقَة - اتَّفَقوا علىٰ أنَّه لمْ يَرَوْا في الوُجُود إلاَّ الواحدَ الحَقّ، ولَكنْ منْهُم مَنْ كَانَ لَهُ هذه الحالةُ عِرْفَانًا علْميًّا (٢)، ومنْهُمْ مَنْ صَارَ لَهُ ذَوْقًا وحالاً (٣)،

---

(١) «فضائل الحج» (ص١٣٢)، عن المرجع السابق (ص٢٤٢).
(٢) أي: وَصَلَ إليها عن طريق الدَّليل والبُرهان.
(٣) أي: وصَلَ إليها عن طريق الكَشْف والإلهام.

وَانْتَفَتْ عَنْهُمُ الكَثْرَةُ بالكُلِيَّة، واستَغْرَقوا بالفردانيَّة الْمَحْضَة، فلمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ إلاَّ اللهُ، فسَكِروا سُكْرًا، ومَعَ دُونَهُ سُلْطانُ عُقُولِهِمْ، فقالَ بَعْضُهُم: أنا الحقُّ (١).

وقال الآخرُ: سُبْحاني مَا أَعْظَمَ شَأْني! (٢).

وقال الآخرُ: ما في الجُبَّة إلاَّ اللهُ (٣)!.

وكلامُ العُشَّاقِ في حالِ السُّكْرِ يُطْوَىٰ ولا يُحْكَىٰ (٤)» (٥).

٦ - عقيدته في القُبور:

قَالَ الشَّيْخُ محمَّد إلياس: «تُعْرَضُ أَعْمَالُ الأُمَّةِ علىٰ

---

(١) قائلها طيفور البسْطاميّ، وتُنسب للحلاج.

(٢) قائلها البسطامي.

(٣) قائلها الحلاج.

(٤) يصفُ الغزاليُّ هذه المجوسيَّة بأنها هتفات أرواح، سَكِرَتْ بعشْقِ الله، ولم يجدْ الغزاليُّ ما ينقدُ به هذه الصوفيَّةَ سوَىٰ قوله: «وكلامُ العُشَّاقِ في حالِ السُّكْرِ يُطْوىٰ ولا يُحْكَىٰ!!» ولكن ما حكم الله في هذا؟، لا يجيب، ولكنَّه حكم من قَبْلُ بأنَّ هذا أسمىٰ مراتبَ التوحيد! . انظر «هذه هي الصوفيَّة» لعبد الرحمن الوكيل (ص٥٣).

(٥) «مشكاة الأنوار» للغزاليّ (ص١٢٢).

رَسُول الله ﷺ، وكُلَّما ازْدَادَ تَجَشُّمُكَ في سبيلِ التَّبْليغِ، ازدادَ فَرَحُهُ بك، ويرتاحُ وَيَنْبَسِطُ لنصبك في قَبرِهِ المُبارك»(١).

ويَحُثُّ الشَّيخُ محمَّد زكريَّا أتْبَاعَهُ علىٰ طَلَبِ الفُيُوضِ منَ القُبُور، فيَقُولُ: «اهتَمُوا بإيصَالِ الثَّوَابِ إلىٰ الأكَابِر؛ فَإذَا عَمِلْتُم بهَذَا، تَتَوَجَّهُ إليكُمْ أرواحُهُمْ، وتنالُونَ منْها الفُيوضَ والبَرَكَاتِ»(٢).

وقال الشيخُ مُحمَّد يُوسُف: «إنَّ صَاحبَ هَذَا القَبْرِ شَيْخَنا محمَّد إلياس – رحمه الله – يُوزِّعُ النُّورَ (الَّذي يَنْزِلُ منَ السَّمَاءِ في قَبْرِه) بَيْنَ مُريديه حَسَبَ قُوَّةِ الارتبَاطِ والتَّعلُّقِ به..»(٣).

وَقَالَ صُوفي إقْبَال: «إنَّ الشَّيْخَ زَكَرِيَا كَانَ يَشْتَغِلُ بذِكْرِهِ الطَّرقيِّ مُنْفَرِداً في مَقْبَرَةِ حَاجي شاة، أوْ عِنْدَ قَبْرِ ضَامنِ الشَّهيد»(٤).

---

(١) «مكتوبات إلياس» (ص٢٥)، عن جماعة التبليغ» (ص١١٠).

(٢) «ثلاثون مجلساً» (ص٢١١) عن المرجع السابق (ص١٢٢).

(٣) «جماعة التبليغ: عقيدتها وأفكارها، ومشايخها» (ص٢٧).

(٤) «سوانح محمد يوسف» (ص١٣٥) عن المرجع السابق (ص٣٣٤).

وقَالَ الْمُفتي عزيزُ الرَّحْمَن في تَرْجَمَة الشَّيْخ مُحَمَّد زَكَرِيَّا: «ولاتَزَالُ مَقَابِرُهُم مَنَابِعَ الفُيُوضِ والبَرَكَات» (١).

وَقَالَ في مَقَامٍ آخَرَ من كتَابِه: «ولايَزَالُ قَبْرُهُ وتكيته يَنْبُوعًا للفُيُوضِ والبَرَكَات» (٢).

فهَلْ رَأَيْتَ - يَا بُنَيَّ - دَعْوَةً إلىٰ عبادة القُبُورِ كَهَذِهِ الدَّعْوَة، وبهَذَا الأُسْلُوب؟!، فما لَنَا وللْقُبُور!.

وقال الشيخُ محمَّد زَكريَّا: «وإذا استَفَادَ شيئًا منْ قُبُورِ الأَوْلِيَاء، فَلْيَحْسَبْهُ منَ الشَّيخ نَفْسِه، فإنَّ بَرَكَةَ صاحبِ القَبْرِ إنَّما وَصَلَتْ إليه بواسطَته» (٣).

والجوابُ عليه: قالَ فضيلَةُ الشَّيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه اللهُ - : «إذا اعتَقَدَ المُتَبَرِّكُ أَنَّ لصاحبِ القَبْرِ تَأْثيرًا أَوْ قُدْرَةً علىٰ دَفْعِ الضَّرَرِ أَوْ جَلْبِ النَّفْعِ - كانَ ذَلكَ شِرْكًا أَكْبَر، إذا دَعَاهُ لجَلْبِ المَنْفَعَة أوْ دَفْعِ المَضَرَّة،

(١) «ولي كامل» (ص٥٤) نقلاً عن «جماعة التبليغ» (ص١٢٣)
(٢) «ولي كامل» (ص٩٤) عن المرجع السابق (ص١٢٣)
(٣) «صقالة القلوب» (ص١٣٧) عن المرجع السابق (ص١٢٣)

وَكَذَلِكَ يكونُ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، إذا تَعَبَّدَ لصاحبِ القَبْرِ برُكُوعٍ، أو سُجُودٍ، أَوْ ذَبْحٍ تَقَرُّبًا لَهُ وتَعْظِيمًا لَهُ، قالَ اللهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١١٧] »[١].

وقالَ شَيْخُ الحديثِ محمَّد زكريَّا: « أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةٌ (أيْ قَحْطٌ) في عَهْدِ عُمَرَ رضي الله عنه ، فَجَاءَ رَجُلٌ إلىٰ القَبْرِ الشَّريفِ، وقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، هَلَكَتْ أُمَّتُكَ؛ فاسْتَسْقِ اللهَ لَهُمْ »[٢].

وهذا الحديثُ لا زِمَامَ لَهُ ولاخِطَامَ، ولا أَصْلَ لَهُ في كُتُبِ السُّنَنِ والمسانيد!.

وقالَ - بَعْدَ إيْرَادِ حكاياتٍ حَوْلَ القُبُورِ -: « لا يَنْبَغي الشَّكُّ في قَبُولِ مِثْلِ هَذِهِ القَصَصِ »[٣].

---

(١) « فتاوىٰ ابن عثيمين » (٢/٢٤٩).

(٢) « فضائل الصدقات » (ص٩٤٣)، عن المرجع السابق (ص١٣١).

(٣) « تبليغي نصاب » لمحمَّد زكريا (ص٧٩٩) عن المرجع السابق (ص١٣٦).

٧ - عقيدتُهم في التَّصوُّف:

قَالَ المُفْتي عزيزُ الرَّحْمَن: «ولَعَلَّ تَأْليفَ هذا الكتاب (أيْ كِتَاب تذْكِرَة أمير التَّبْليغ) بأكْمَلِه كَانَ منْ تصرُّفات الشَّيخ الرُّوحانيَّة» (١).

وقال الشَّيْخُ محمَّد زكريَّا: «إنَّ الحافظَ محمَّد يُوسُف منْ أكَابرِ مَشَايخنا، كانَ كَثيرَ التَّصَرُّف، ولَقَدْ سَمعْنَا منْ مَشَايخنا عَنْ تَصَرُّفاته كَثيراً» (٢).

ويَقُولُ - أيضًا - : «وكانَ الشَّيخُ عبدُ القادر يتفكَّرُ في راحتي وسعادتي دائمًا، وقَدْ ظَهَرَ هذا الآن، بحيثُ كانت الأيَّامُ الثَّلاثَةُ الَّتي قَضَيْتُها عنْدَ قَبْرِه في قرية دهديانَ في باكستانَ، صار جَوُّ هذا المكان الحارِّ الشَّديد مُعْتدلاً بتصرُّف الشَّيْخ عبد القادر لمدَّة ثلاثة أيَّام» (٣).

---

(١) «تذكرة أمير تبليغ» للمفتي عزيز (ص١٨) عن المرجع السابق (ص١٥٥).

(٢) «فضائل الحج» (ص٢٧٣)، عن المرجع السابق (ص١٥٥)

(٣) «سيرة محمد يوسف» (ص١٠٠) عن المرجع السابق (١٥٧)

وقَالَ محمَّد زكريَّا - أيضًا -: «مِنْ أكَابِرِنا الحافظُ محمَّد يُوسُف، وكانَ مَعْروفًا بِتَصَرُّفِه في الكَون، وبتعاويذِه وتمائِمِه السَّريعةِ التَّأثير، ولَهُ في ذلك قصصٌ ووقائعُ مَعْروفةٌ»(١).

والجواب عليه: سئلتْ اللَّجْنَةُ الدَّائمَةُ سُؤالاً يقول: مَا مَعْنَى قولِ الْمُنْتَسِبِينَ للتَّصوُّف: إنَّ فلانًا صاحبُ الوقْتِ، وإنَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّصرُّفِ... إلخ.

فأجابتْ اللَّجنَةُ عَليه بما يأتي:

«مَعنىٰ أنَّ فلانًا صاحبُ الوقت.. إلخ: أنَّ هُناكَ مَنْ وُكِلَ إليه شُئُونُ الخَلْقِ مِنَ البَشَرِ، ولَدَيْه القُدْرَةُ علىٰ التَّصرُّف في أُمورِهم: يُفَرِّجُ شدَّتَهُم، ويفكُّهم ويُخَلِّصَهُم ممَّا أَحَاطَ بِهِم مِنَ البلاد، ويَسُوقُ إليهم ما شَاءَ مِنَ الخَيْرات في نَظَرِهم، وَمَنِ اعْتَقَدَ ذلكَ، فَهُوَ مُشْرِكٌ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ في الرُّبُوبيَّة وتدبيرِ شُئُونِ الخَلْقِ، ولا تصحُّ الصَّلاةُ وراءَهُ، ولا

(١) «فضائل الحج» لمحمَّد زكريَّا (ص١٠٤٦) عن المرجع السابق (ص١٦٢)

يجوزُ توليتُهُ أمْرَ المُسْلمينَ، ولا أنْ يُجْعَلَ إمَامًا لهم في الصَّلاة؛ لكُفْرِهِ الصَّريح، وشِرْكِهِ البَيِّن، وهو أشَرُّ مِنْ شِرْكِ الجاهليّةِ الأُولىٰ.

قالَ اللهُ - تعالىٰ - : ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾** ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢]، إلىٰ غَيْرِ ذلكَ مِنَ الآياتِ » (١).

كتابَتُهُمُ التَّمائمَ، وهي من طريقةِ الصُّوفيَّةِ وأَفْعَالِهِمْ، قالَ مُحَمَّد أسْلَمْ - وهُوَ مِنْ كبارِهِم -: « وكانَ يَكتُبُ (زكريّا) التَّمائمَ في ذاكَ الوَقْتِ كُلَّ يَومٍ » (٢).

٨ - اعتقادُهُم أنَّ اللهَ في كلِّ مكانٍ:

قَالَ الشَّيخُ مُحَمَّد زَكَرِيّا - وهُوَ مُعَلِّمُ طريقةَ الذِّكْرِ -:

---

(١) « فتاوىٰ اللجنة الدائمة » (٢ / ١٨٦).

(٢) « جماعة التبليغ: عقيدتها، وأفكارُ مشايخها » (ص ٣٤).

« ثُمَّ يتفكَّرُ في آيَةٍ أُخْرَىٰ، مِثْلَ: قَوْلِه -تَعَالَىٰ-: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [النور: ٣٥] ويتصوَّر أنَّ اللهَ في كُلِّ مَكَانٍ، ونُورَهُ في جَمِيعِ العالَمِ، ثُمَّ يُغْرِق في تَصَوُّرِ نُورِهِ »[١].

والجَوابُ عليه: أنَّ الاعتقادَ بأنَّ اللهَ في كُلِّ مَكَانٍ هي عقيدةُ الجَهْمِيَّة والمعْتَزِلَة، أمَّا عقيدةُ أَهْلِ السَّلَف فمَدَارُهَا علَىٰ أَرْبَعَةِ أقْوَالٍ كُلُّهَا تَعْنِي العُلُوَّ، أَخْرَجَ البُخَارِيُّ في صَحِيحِه[٢] عَنْ مُجَاهِدٍ قالَ: ﴿ **اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ [الرعد: ٢]: عَلا.

وقَالَ ابْنُ رَاهَوَيْه: سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ يقول: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ [طه: ٥] أي: ارْتَفَعَ.

٩ - عقيدتُهُم في النَّبيِّ ﷺ:

١- زَعْمُهُم اسْتِقْبالَ النَّبيِّ ﷺ لهم:

قالَ الشَّيخُ زكريَّا: « رأيتُ عمَّتي حينما حَضَرَتْهَا الوَفَاةُ،

---

(١) « صقالة القلوب » لمحمَّد زكريا (ص١٤٤) عن « جماعة التبليغ في شبه القارة الهنديّة » (ص٩٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد.

أَمَرْتَني صَارِخَةً: أَجْلِسُوني، أَجْلِسُوني؛ فَهَذَا رَسولُ اللهِ - ﷺ - قَادِمٌ. ثُمَّ فَاضَتْ رُوحُها.

ولَمَّا تُوفِّيَ جَدِّي الشَّيْخُ مُحَمَّد إسماعيل، بَلَغَ مَوْكِبُ جِنَازَتِه ثَلاثَةَ أَمْيَالٍ في الطُّول، وكَانَ مِنْ بَيْنِهِم وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِ الكشف، فَرَأَىٰ أَنَّ الشَّيْخَ يقولُ: «قَدِّمُوني، قَدِّمُوني؛ فَأَنَا أَسْتَحي مِنَ التَّأخُّرِ؛ فَإِنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - واقفٌ في انتظاري مَعَ أَصْحَابِه!»(١).

والجوابُ عليه: قَدْ وُجِّهَ إلى اللَّجْنَةِ الدائمةِ سُؤَالٌ، هذا نَصُّهُ: هَلْ يَأْتي النَّبِيُّ - ﷺ - نَفْسُهُ عِنْدَ المَيِّتِ أَوْ تَحْضُرُ صُورَتُهُ؟

فكانَ الجوابُ ما يَأْتي: «حُضُورُ النَّبِيِّ - ﷺ - أَوْ غَيْرِه مِمَّنْ أَفْضَىٰ إِلىٰ رَبِّه - مِنَ الأُمُورِ الغَيْبِيَّةِ الَّتي لا تُعْرَفُ إلاَّ بتوقيفِ الشَّارِعِ، وتَعْريفِه لعِبَادِه بِهَا، فَلَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَخوضَ في هَذَا إلاَّ بِنَصٍ شَرْعِيٍ، ولَمْ يَثْبُتْ في آيةٍ - ولا

---

(١) «ثلاثون مجلسًا» لزكريا (ص١٣٤)، عن «جماعة التبليغ» (ص٢٥٨).

حَديثٍ - أَنَّهُ -ﷺ- يَحْضرُ عِنْدَ مَيِّتٍ ما بنفسه، ولا بصورَته، وإنَّما يَجْتَمعُ به النَّاسُ يَوْمَ القيامَة، ويَسْأَلُونَهُ أَنْ يشفعَ لهم عِنْدَ ربِّهم؛ ليصرفَهُم عَن الْمَوْقف، إلىٰ غَيْر هَذَا مِمَّا سيكونُ لَهُ -ﷺ- يومَ القيَامَة، ممَّا ثَبَتَ عَنْهُ -ﷺ- أَنَّهُ مِنْ خَصَائصه، واللهُ الموَفِّقُ»(١).

٢ - زَعْمُهُمْ لِقاءَ رَسُولِ الله ﷺ:

نَقَلَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَن عليٌّ النَّدويُّ مكتوبَ الشَّيْخ إلياسَ إلىٰ أَصْدقَائه، وفيه: «أيُّها الأَصْدقاءُ، إنَّ المُجْتَهدَ في الدَّعْوَة والتَّبْليغ يكونُ مُنَضَّرَ الوَجْه عِنْدَ مَوْته، ويَلْقَىٰ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ سَعيدٌ»(٢).

وَقَالَ الشَّيْخُ أبو الحَسَن النَّدويُّ - أَيْضًا - في كتَابه «سيرة السَّيِّد أحمد شهيد»: «وَأَرَادَ - رَحِمَهُ اللهُ - في اللَّيْلَة السابعَة والعشرين أَنْ يُحييَها، ويَعبدَ فيها، لكنْ

---

(١) «فتاوىٰ إسلامية» (١/١٣٤).

(٢) «مولانا إلياس» لأبي الحسن الندوي (ص٣٠١) عن «جماعة التبليغ» (ص٢٧٦)

غَلَبَ عليْهِ النُّعَاسُ بَعْدَ العِشَاءِ فَنَامَ، وأيقَظَهُ رَجُلان بإمساك يَدَيْه في ثُلُث اللَّيْلِ، فرأىٰ أنَّ النَّبيَّ -ﷺ- جَلَسَ علىٰ يَمينه، ورَأىٰ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيق - رضي الله عنه - جَلَسَ عَنْ شماله، ويقولُ لَهُ: «يا سَيِّد أحمد، قُمْ بسُرْعَة، واغتسلْ، فَلَمَّا رآهما سيِّد أحمد، أسْرَعَ إلىٰ حَوْضِ المَسْجِد - علىٰ رَغْمِ كَوْنِ الماءِ في الحَوْضِ بارداً كالثَّلْجِ - فَاغْتَسَلَ مِنَ هَذا الْمَاءِ، وفَرَغَ منْهُ، ثُمَّ حَضَرَ في خِدْمَةِ النَّبيِّ -ﷺ- فقالَ يا وَلَدي، اللَّيْلَةُ ليلةُ القَدْرِ؛ فاشْتَغلْ في ذكْرِ اللهِ، والدُّعَاء والْمُنَاجَاةِ.. ثُمَّ ذَهَبَا بَعْدَ ذلك»[1].

والجواب عليه: قال العلاَّمةُ محمَّد تقِّي الدِّين الهلاليُّ - رحمَهُ اللهُ - «أيُّ حَاجَةٍ بَقِيَتْ للنَّبيِّ -ﷺ- حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ قَبْلَ يومِ القيامَةِ لأَجْلِ أنْ يقولَ للشَّيخِ أحمد المذكور: «اللَّيْلَةُ لَيْلَةُ القَدْرِ»؟!، ولَمْ يقعْ هَذَا لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيق، ولا لأحدٍ مِنَ الخُلفاءِ، ولا مِنَ الصَّحَابَةِ،

---

(١) «سيرة أحمد الشهيد» (ص٨٤)، نقلاً عن المرجع السَّابق (ص٢٨٠ -

لأنَّهم أعْلَمُ وأرْوَعُ مِنْ أنْ يَأْتُوا بمثْلِ هَذِهِ الحكايات، الَّتي لا يُصَدِّقُهَا إلاَّ الْمُتَصَوِّفَة والجَاهِلُونَ»[١].

وقال العلاَّمَةُ التُّوِيْجَريُّ - رحمه اللهُ - :

«قلتُ في هَذِهِ الحِكَايَةِ الخُرَافَيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ علىٰ الهَوَسِ - دليلٌ علىٰ حَمَاقَةِ مَنْ نُسِبَتْ إليه مِنْ مشايخِ التَّبْلِيغيِّين، وعلىٰ حَمَاقَةِ مَنْ أدْخَلَهَا في سِيرَةِ ذلك الشَّيخ، وأقَرَّهَا مُتَوَهِّمًا أنَّها مِنْ كَرَاماته، وهيَ في الحَقِيقَةِ هَذَيَانٌ لا يَصْدُرُ مِنْ رَجُلٍ لَهُ أدْنَىٰ شَيءٍ مِنَ العَقْلِ والدِّينِ»[٢].

وقالَ الشَّيخُ محمَّد زكريَّا: «كَانَ في مَكَّةَ المكَرَّمَة رَجُلٌ مِنَ الصَّالحينَ، يُسمَّىٰ ابْنَ ثَابت، وكَانَ يُسافرُ إلىٰ المدينة لزيارَةِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- كُلَّ سَنَةٍ، حتَّىٰ أكْمَلَ ستِّينَ سَنَةً، فَعَرَضَ له عارضٌ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ السَّفَرِ إلىٰ المدينة، فَبَيْنَا هُوَ جالسٌ في غُرْفَتِه، أصَابَتْهُ غَفْوَةٌ، فَرَأىٰ النَّبيَّ -ﷺ- في

---

(١) «السِّراج المنير» (ص٧٥)، عن المرجع السابق (ص٢٨١)

(٢) «القول البليغ» (ص١٤٢)، عن المرجع السَّابق (ص٢٨٢)

حالَته تِلْكَ، وَهُوَ يَقُولُ: «يا ابْنَ ثَابت، مَا جِئْتَنَا لِزيارَتِنا هَذَا العَامَ، فَجِئْنَا نَزُورُكَ!!!»(١).

٣ - التَّوسُّلُ بالنَّبيِّ ﷺ:

قَالَ الشَّيْخُ محمَّد زَكَريَّا: «بَعْدَ السَّلامِ يَدْعُو ويَتَوسَّلُ بالنَّبيِّ -ﷺ- ويطلبُ الشَّفاعةَ، ويقولُ: يا رسولَ الله -ﷺ-، أَسْأَلُكَ الشَّفاعَةَ، وَأَتَوسَّلُ بك إلىٰ الله أَنْ أَمُوتَ مُسْلِمًا عَلَىٰ ملَّتِكَ وسُنَّتِكَ»(٢).

والجواب عليه:

وُجُهَ سؤَالٌ للَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ، هَذَا نَصُّهُ: نِداءُ ودُعاءُ النَّبيِّ -ﷺ- فِي كُلِّ حَاجَةٍ، والاسْتِعَانَةُ بِهِ في المصَائِبِ والنَّوَائِبِ مِنْ قَرِيبٍ - أَعْني عِنْدَ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ-، أَوْ مِنْ بَعِيدٍ - أَشِرْكٌ قَبِيحٌ أَمْ لا؟».

الجَوَابُ: «دُعَاءُ النَّبيِّ -ﷺ- ونِداؤُهُ، والاسْتِعَانَةُ بِهِ

---

(١) «فضائل الصدقات» لمحمَّد زكريّا (ص٩٤٢)، عن المرجع السابق (٢٨٧ - ٢٨٨).

(٢) «فضائل الحج» لمحمّد زكريّا (ص١٤٦) عن المرجع السابق (ص١٤٦)

بَعْدَ مَوْتِه في قَضاءِ الحاجَاتِ وكَشْفِ الكُرُبَاتِ - شِرْكٌ أكبرُ، يُخْرِجُ مِنْ ملَّةِ الإسْلامِ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ، عِنْدَ قَبْرِهِ أَمْ بَعِيدًا عَنْهُ، كَأَنْ يقولَ: يا رسولَ اللهِ، اشفِني، أو رُدَّ غَائِبِي، أَوْ نَحْوَ ذلك لعُمُومِ قَوْلِه - تعالىٰ -: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨].

وقَوْلِه - عَزَّ وجلَّ -: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقَوْلِه - عزّ وجلَّ -: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ(١) ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤][٢].

١٠ - عقيدتُهم في الخَضِرِ عليه السلام:

نقل الشيخُ محمَّد زكريّا في كتابِه «تبليغي نصاب»

---

(١) القطميرُ - بالكسر -: القشرة الرَّقيقةُ الَّتي تكونُ بينَ النَّواةِ والتمرة، وتَصيرُ علىٰ النَّواة كاللِّفافة لها.

(٢) «فتاوىٰ اللَّجنة الدَّائمة» (٣/ ١٧٠)

عَنْ إبراهيم الخَوَّاص قَوْلُهُ: «عَطِشْتُ في بَعْضِ أَسْفَارِي؛ حَتَّىٰ خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ، فَرُشَّ ماءٌ عَلَىٰ وَجْهِي، ولَمَّا فَتَحْتُ عَيْنَيَّ رَأَيْتُ شَابًّا وَسِيمًا رَاكِبًا عَلَىٰ فَرَسِهِ، فَسَقَانِي مَاءً، وقَالَ: امْكُثْ معي قَليلاً مِنَ الزَّمَنِ. فَلَمْ أَلْبَثْ حتَّىٰ قالَ لي: مَاذا تَرَىٰ؟ قُلْتُ: هَذِهِ المدينةَ الطَّيِّبَةَ. قَالَ: انْزِلْ، وأَقْرِئْ رَسُولَ الله - ﷺ - مِنِّي السَّلامَ، وقُلْ: إنَّ أَخَاكَ الخَضِرَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ»(١).

والجواب عليه:

قال الشَّيْخُ عبدُ الله بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجبرين - حفظه الله -:

«وَقَدْ ذَكَرَ العُلَمَاءُ أنَّ الحكايات الَّتي تُنْقَلُ عَنِ الخَضِرِ لا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الصِّحَّةِ، وأَنَّ الخَضِرَ قَدْ مَاتَ كغيره مِنْ عِبَادِ الله، ولو كانَ مَوْجُودًا، لَجَاءَ إلىٰ نَبِيِّنا -ﷺ- الَّذي هو مَبْعُوثٌ إلىٰ الإِنْسِ والجِنِّ، ثُمَّ إنَّ الكتابَ المذْكورَ يَحْتَوي

(١) «تبليغي نصاب» (ص٧٩٦) عن المرجع السابق (ص١١٠ - ١١١).

علىٰ خُرافَاتٍ وأكاذيبَ لا أصْلَ لَها، وَمُؤلِّفه مَجْهولٌ، أَوْ كَحَاطِبِ اللَّيلِ الَّذي يَكْتُبُ ما رآه - أَوْ ما تَخَيَّلَهُ - لِقَصْدِ شغلِ أَوْقاتِ النَّاسِ بِمَا يَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنيا، ولا شَكَّ في سَعَةِ قُدْرَةِ اللهِ وإحَاطَتِه بالمخْلُوقات، لَكِنْ هَذه الخُرافات الَّتي لا زِمامَ لَها ولا خِطَامَ مِمَّا تَسْتَحِقُّ المَحْقَ والإتْلافَ، فَلْيُعْلَمْ ذَلك»[1].

وقالَ الشَّيْخُ سيِّد طَالب الرَّحْمن: «ومِنَ المعْلُومِ أَنَّ الخَضِرَ قَدْ مَاتَ، ومَضَىٰ عَلَىٰ مَوْتِه قُرُونٌ، ولكن رُؤَساء جماعةِ التَّبليغَ يعتقدونَ أَنَّهُ مازَالَ يَسْقِي الظَّمْآنَ، ويُرْشِدُ المسافرينَ، ويُعِينُ الْمُضْطَرّين الملْهُوفين»[2].

(١) «فتاوىٰ إسلامية» (١/١٧٨)

(٢) «جماعة التبليغ في شبه القارة الهِنْدِيَّة» (ص١١١)